الشيخ احمد السرهندي، رجل الدعوة والإصلاح

د. يحيى حسين أحمد(*)

ملخص البحث

وقع اختياري على الشيخ أحمد السرهندي –رحمه الله– .

وهو أحد الأعلام الذين أظهرهم الله تعالى وهيأهم للدفاع عن كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) والتصدي للانحرافات بل للطغيان الذي كان سائداً مملكة الاسلام وأمة الاسلام في الهند على يد ملكها الطاغية الظالم المبتدع "جلال الدين أكبر" وقد اسقط دينه الذي جاء به من عند نفسه وسماه "بالدين الإلهي" بعد ان فتن أمة الهند جميعاً. فقمت بتقسيم هذا البحث الى فصلين .

الفصل الأول : عصر الشيخ السرهندي ويتألف من اربعة مباحث :

المبحث الأول : الملك أكبر ، ومحاربته للاسلام .

المبحث الثاني : علماء السوء ومساندتهم للملك جلال الدين اكبر .

المبحث الثالث : الدين الإلهي .

المبحث الرابع : الملك اكبر عند كتاب الغرب ومؤلفيه .

والفصل الثاني : ويتألف من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الشيخ السرهندي

المبحث الثاني : طريقة الشيخ والدعوة وكيف رد على الملك (جلال الدين اكبر).

المبحث الثالث : سجن الشيخ السرهندي

وخاتمة البحث والمصادر والهوامش

ABSTRACT

(*) مدرس في قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل.

I selected on Sheikh Ahmed Alserhende - God's mercy who is one showed God created and to address to defend the book of God and Sunna Nabih deviations, but for tyranny that prevailed Kingdom of Islam and the Nation of Islam in India at the hands belong to the unjust tyrant Creative

"Jalal Aldeen Akbar" and scrapped the religion which came from when he called himself, "Divine religion" after the riots nation India all.

I divided the research into two chapters.

Chapter I: the era of Sheikh Alserhende

It consists of four researches :

Study I: King largest, and fight for Islam.

Study II: bad scientists and support of the king Jalal Aldeen Akbar.

Study III: divine religion.

Study IV: King's book at the largest West and its authors.

Chapter II: It consists of three researches:

Study I: Sheikh Alserhende

Study II: style Sheikh, advocacy and how to reply to the King (Jalal Aldeen Akbar)

Study III: Arrest of Conclusion research, and Sources margins.

المقدمة

ان الشيخ احمد السرهندي –رحمه الله– هو احد الاعلام الذين نكس الله بهم الباطل وفضح بهم من اراد بالاسلام واهله ضراً فكان –رحمه الله– ممن تصدى لبدعة (جلال الدين اكبر) هذا ولكنه –رحمه الله– كان أمة بمفرده لأنه كان على الصراط المستقيم سائراً وفي الحق مجاهداً ومات على ذلك مجاهداً بلسانه وقلمه وبالسراج احياناً ولكن سراج الكلام امضى واعتى من الحديد والنار لأن الايمان لا يعرف طريقه إلا الى القلوب الحية فقد بذل الشيخ السرهندي جهودا عظيمة فيها للاسلام مجده بعد ان تكفل الله لنا بحفظه وهذه سنة الله في خلقه وسنته كذلك في الدنيا أن الظلام مهما زاد وشاع في ارجاء الدنيا فلا بد من بزوغ الفجر وانبلاج الصبح المشرق.

الفصل الاول

المبحث الأول

الملك اكبر ومحاربته للاسلام

ظهر من ملوك المغول من حارب الاسلام في الهند وناصبه العداء واضطهد القائمين بدعوته الساعين في رفع كلمته . وأرهقهم بانواع شتى من العذاب والأذى والتضييق، والذي تولى أكبر هذه المحاربة الشنيعة وهذا العداء المحقوق هو الملك المغولي (جلال الدين اكبر) الذي تولى سرير الملك سنة ٩٦٤هـ وساس البلاد خمسين سنة كاملة الى ان وافاه الأجل عام ١٠١٤هـ .

فأراد هذا الملك الغر أن يقضي بدعوته واضطهاده الأمة والأسلام وعلماءها على ايمان أسيا المسلمة بأجمعها وذلك حسب ما اراد أنصاره وأشياعه

فقد أقام حكمه على أساس أن الهند لا للفاتحين وحكمها على اساس تولٍ لا تفريق بين جنس وجنس ودين ودين . وسار في سياسته القومية هذه الى آخرها مضحيا في سبيلها بكل شيء حتى بأوامر الدين ، وقد وجد الهندوس في عهد أكبر ما لم يجدوه من قبل ، بل وجدوا ما لم يكونوا يحلمون به أو يتخيلونه وهو عقد مصاهرات بينهم وبين الملك وابنائه وولاته ودخول الكثير منهم في حاشيته وتغلغل نفوذهم في أداة الحكم وما الى ذلك[١]
.

وجاء أيضا أن جلال الدين أكبر اختار الكثير من عادات الهندوس وشاركهم في أعيادهم وترك زي الآباء المسلمين وتزيا بزيهم وتزوج بنات الأمراء والقواد من الهندوس ، فقد كان يسود في مجالس الملك أكبر : الرأي بأن ملة الاسلام كانت نشأتها في أمة بدائية أمية، فلا تصح لأمة مهذبة مؤدبة .

والنبوة والبعثة والوحي والحشر والبعث والجنة والنار أصبحت تتخذ سخرية وأصبح القرآن مشكوكا في كونه كاملا أو كلاما ألهياً ونزول الوحي محالاً عقليا وحصول الثواب والعقاب بعد الموت مرتابا فيه . ولكن التناسخ كان في رأي القوم أقرب الى الصواب من كل وجه ، وكذلك كانوا يعدون المعراج النبوي من المحالات علنا ، ويعترضون على

شخصية النبي (ﷺ) وفي حثه على تعدد الزوجات وغزواته وسراياه. حتى عادت كلمتا (محمد) و(أحمد) من أبغض الكلمات اليهم ، وفي عهد هذا الملك نبتت نبتة المذهب البهائي ، وقرر ان بعثة النبي (ﷺ) قد مضى عليها ألف سنة ولم يكن هذا الدين إلا هذا المقدار من السنين لذلك قد نسخ الآن هذا الدين ويجب أن يستبدل به دين جديد وهذه النظرية اشيعت في الناس بواسطة العملة النقدية لأنها كانت أقوى وسائل الدعاية والنشر في ذلك العهد(٢) .

ولم تقف هذه المعاملة السيئة عند هذا الحد بل تجاوزته الى أن استرسل في تحريف احكام الاسلام وتبديلها ، فقد أحل الربا والخمر والميسر وأوجب شرب الخمر في المجلس الملكي بدل الشاي لعيد رأس السنة ، وأشيعت كذلك بدعة حلق اللحية وأقيمت الأدلة على جوازها ، وحظر التزاوج بابنة العم وابنة الخال مراعاة لتقليد الهنادك ، وحدد عمر الزواج بستة عشر عاما للصبي واربعة عشر عاما للجارية وحظر التزوج بأكثر من واحدة ، وأبيح استعمال الذهب والحرير واحل لحم الأسد والذئب ، ولم يجعل الخنزير حلالا بل حرم ذبحه وعد من الحيوانات المقدسة إمعانا في عناد الاسلام ، حتى اصبح يتفاءل بكرةً بالصباح وأوثر على دفن الموتى إحراقهم أو إلقاؤهم في البحر .

واوجب إذا أراد أحد ان يدفن ميته بان يوصي بان يجعل رجليه نحو القبلة ، والملك أكبر كان يجعل رجليه شطر الكعبة المشرفة عنادا للاسلام وكان تعليم العربية وتدريس الفقه والحديث يعاب ويزدرى وكان الذين يشتغلون بذلك يحتقرون ويستضعفون(٣) .

المبحث الثاني

علماء السوء ومساندتهم للملك جلال الدين أكبر

إن اشد ما ابتليت به الأمة الاسلامية علماء السوء بل علماء الدنيا لأن هؤلاء ما يزالون خير سند وعون لأصحاب الدراهم والدنانير إذ لا بد في كل عصر ان يوجد الموافق المعجب والمخالف المحنق.

فكما حدث للأمام احمد بن حنبل حين تصدى للبدعة التي لولا الله تعالى وما هيأ به احمد بن حنبل من العلم لكان الاسلام بل المسلمون على وجه الخصوص في فوضى

وتشتت وهكذا كان الأمر مع شيخ الاسلام احمد بن تيمية حين تصدى بقلمه وعلمه للحركات الباطنية والشعوبية فكان ما كان ولكن سنة الله في خلقه لا بد ان تسير.

فهذا الشيخ السرهندي تصدى لأكبر من هذا ولعلماء السوء عبيد الدرهم والدنانير بل عبيد القطيفة. فعلماء السوء ، كالصخرة الصماء سقطت في مجرى النهر الصافي العذب ، فلا هي تركت الماء ليذهب لسبيله ، ولا هي انتقصت به .

وهذا رسول الله ﴿ﷺ﴾ يحذر من علماء السوء ، فعن أنس (ﷺ) قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ((ويل لأمتي من علماء السوء))[٤] .

والله تعالى جعل عاقبة هؤلاء الضلال في الحياة الدنيا، وفي الاخرة أشد العذاب قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾[٥] .

وقد أعلن الشيخ السرهندي أن المسؤولية الأولى في نشر التعاليم الاسلامية الحقة والمبادئ الإلهية الخالصة تقع على عاتق العلماء المسلمين ، كما أن تبعات النكبات التي يصاب بها المسلمون من ذلة إنما ترجع الى العلماء المقلدين الذين احبوا الدنيا وكرهوا الموت، الذين يتهافتون على ملوك الدنيا وحكامها والتمتع بملذات غير باقية بل فانية"[٦] . لأن العلماء والأمراء إذا كانوا زائغين عن الحق فان الله سبحانه وتعالى توعدنا بالعقاب لأن اصلاح الأمراء إنما يرجع الى العلماء فإذا كان العلماء فاسدين مترددين في قول الحق فعلى الدنيا السلام .

فقد كان علماء السوء خير عون للملك (أكبر) في نشر دعوته ومحاولته القضاء على الاسلام فقد زينوا له سوء عمله وجعلوه يحس بنفسه بل يقضي على ذاته العصمة وقدموا له عريضة تسمى (محضرا) باللغة الفرنسية تثبت للملك العز والعصمة وتخوله الحق في ان يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الاحكام ما يريد الى غير ذلك من الأباطيل والخزعبلات[٧] .

وقد بلغ الأمر ببعض الاشقياء منهم مبلغا عظيما إذ طبقوا علامات الدجال والعياذ بالله ... على الهادي البشير محمد ﴿ﷺ﴾[٨] . وهؤلاء لا يطلق عليهم علماء . . .

وكذلك اثبتوا للملك أكبر أنه المهدي الموعود ورجل زمانه ، والأمام المجتهد وبادر أحدهم يعرف بتاج العارفين ، فزاد في تعظيم أمره فوصفه بأنه شبح لله تكونه الإنسان الأكمل وخليفة زمانه الأعظم ، وقيل للعامة اقناعا لهم بصدق هذا الدين الجديد ان الحق والصدق وما شاكلهما من الحقائق العالمية ، ليس وقفاً على دين بعينه دون سائر الأديان بل يوجد في كل ديانة وملة ، فيجب أن يؤخذ ما هو الحق في كل ديانة وتؤلف من ذلك طريقة واحدة جامعة ، يدعى اليها الناس فاصطنعت كلمة "لا اله إلا الله" أكبر خليفة اليه ، كلمة الدين الجديد(٩) .

ولكن علماء السوء لم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا بأن النبي (ﷺ) نبأئه الأمراء واجب الطاعة فيهم جهلا منهم فأباحوا لأنفسهم أن يسجدوا له .

يقول الاستاذ ابو الأعلى : وكانوا ، أي علماء السوء ، لا يتحرجون عن السجود لهذا الملك الذي ليس مرجع حاجتهم ومتجه مطالبهم ، ويسترون هذا الشرك الصريح منهم بكلمات مثل، سجدة التحية ، وتقبيل الأرض بين يديه ، وهذا هو التعلل البغيض والاحتيال الممقوت الذي نبأ به النبي (ﷺ) بقوله "وسيأتي زمان يحلون فيه الحرام بعد ما يبدلون اسمه"(١٠).

هكذا بدأ علماء السوء في زمان الشيخ السرهندي رحمه الله بالخروج على الملة والشريعة من أجل متاع من الدنيا زائل وكذلك قال مكحول رحمه الله عن هذه الطائفة من علماء الأمة "يأتي زمان على الناس يكون عالمهم انتن من جيفة الحمار"(١١) .
فنسأل الله تعالى العفو والعافية والنجاة في الدنيا والاخرة.

المبحث الثالث

(الدين الجديد) او ما يسمى بالدين الإلهي :

لما وجد الملك أكبر طائفة من علماء الأمة يقولون له ما يقولون ويفعلون بين يديه ما يفعلون ما كان منه إلاّ أن اظهر بدعته الكبرى بنسخ الدين الذي جاء به النبي(ﷺ) من عند رب العالمين . وبزعمه ان مدة دين عمره ألف سنة كافية لنسخ دين الأعراب ، لذلك خطر في عقله الضال فكرة شيطانية سولها له في نفسه بعض اعوانه وعلماء السوء ...

بقولهم ان العصر عصر تجديد ومدنية وهو بحاجة الى دين جديد يوافق ميول أهل العصر واهواءهم ونزعاتهم ، فأعلنوا دينهم الجديد وسموه ، الدين الإلهي ...

فهذا الدين الجديد وان كانت قد رفعت قواعده في بداية الأمر على ان ستدخل فيه حسنات كل دين ولكن الحق أنه كان لكل دين غير الاسلام خطوه لدى هذا الدين الجديد، ولم يحظ بالعداوة والبغضاء إلا الاسلام وأحكامه وقوانينه ، فهذا (الدين الألهي) اقتبس من المجوس عبادة النار ، فأوقدوا في البيت الملكي النار الى الأبد وهو موقد مؤبد جعل في القصر الملكي وأوجب القيام عند أيقاد المصابيح تعظيما ، واقتبس من النصارى ضرب النواقيس واجتلاء صورة ثالث الثلاثة " واشياء أخرى من هذا القبيل .

وأما الديانة التي راعى جانبها "أكبر" وأكثر الاقتباس منها بشكل أعظم فهي الديانة الهندوسية البوذية لأنها كانت نحلة الأغلبية من سكان الهند .

وكان لا بد من استمالتهم لتقوية أمر الملك ، فحرم لحم البقر ، وجعل أعياد الهندوس وأيامهم يحتفل بها بجميع شعائرها حسب تعاليم ديانتهم ، وراجت التقاليد الهندوسية في القصر الملكي ولزمت عبادة الشمس أربع مرات في النهار والتسبيح بأسمائها الألف كل يوم ، وكلما نطقت الألسن (شمس) شفعت بكلمة (جلت قدرتها) وأخذ الناس يطبعون على أجنبهم وساما يقال له (قشفة) في لغة الديانة الهندوسية ويرتدون على خصورهم وأكتافهم حزاما يقال له (جينو) أي الزنار . ويعظمون البقرة ويقدسونها، وفي العادة آمن الناس بعقدية التناسخ وتعلموا من كهنة الهندوس عقائد أخرى كثيرة لا تعد ولا تحصى ، كل هذه العناية والرعاية عامل بها (الدين الجديد) جميع الديانات، غير الاسلام.

أما الاسلام فيرى أن كل حركة وكل عمل من اعمال الملك وحاشيته تدل على الخفر والضاد والمخالفة الكامنة في نفوس المسلمين بحقه ، إذ كل رأي يعرضه أهل الملل الأخرى ضد التعاليم الاسلامية بأسلوب فلسفي ولهجة روحية لمناسبة الجو السائد على المجلس الملكي، كان يسلم به كأنه وحي أوحي من السماء ويرون تعاليم الاسلام بإزائه ردا.

ولو أن علماء الإسلام يقولون في الدفاع عن الاسلام شيئا أو يخالفون فعلا لما حصل الذي حصل ، وقد الفت لجنة من أربعين رجلا للتحقيق في الأديان، كانت تدرس

جميع الملل والأديان بكل تسامح ، بل تجلها وتحترمها إلا الإسلام فانه كلما ذكر يستهزأ بـه ويسخر منه.

ولو أن بعض حماة الإسلام اراد ان يقف بوجههم ويرد على ادعاءاتهم ، لضرب على لسانه وأمر بالسكوت ولم يقف الامر عند هذا الحد من المعاملة السيئة بل تجاوز الى ان يسترسل في تحريف أحكام الإسلام وتبديلها فقد أحل الحلال وحرم الحلال وأصبح تعليم العربية وتدريس الفقه والحديث يعاب ويزدرى به، وكان الذين يشتغلون بذلك يحتقرون ويستصغرون(١٢) .

"بل كان من يدخل في هذا الدين الجديد القائم على يد الملك أكبر " يقر بتوبته ، قبل ذلك ، على حد زعمه ، ويسمى بعد دخوله فيه بكلمة (تشليه) ومعناها في اللغة الهندية (المريد) والمتبع وبدلت طريقة السلام ، فبدلا من كلماته الثابتة بالتواتر كان البادئ بالسلام يقول الله أكبر ويجيب المجيب (جل جلاله)(١٣) .

وكان هؤلاء المريدون أو المتبعون للدين الجديد هذا يعطون صورة الملك ليعلقوها في عصائمهم وكانت عبادة الملك ركنا من أركان هذا الدين ، فكان الناس يزورونه كل يوم وكان كلما شرف أحد بالمثول بين يديه يخر له ساجدا حتى العلماء ممن ينسبون الى الشرف والسمو(١٤) .

فكان ما يسمى الدين الإلهي الذي وضعه جلال الدين أكبر هذا هو تحريف وتبديل وإشراك وكفر بنعمة الله حتى خرج عن كل فئة توصله بأهل الملة المسلمة بأن أمرهم بالسجود له .

وكل ذلك لأن علماء السوء وقفوا الى جانبه ولكن سنة الله تعالى لا بد ان تسير حتى يميز الله الخبيث من الطيب .

المبحث الرابع

الملك أكبر عند كتاب الغرب ومؤلفيه

إن كل خطة توضع ضد الإسلام تريح أعداءه لا لشيء بل لأنه الحقد الذي أورث البغضاء العنيدة في هزيمة الطرف الآخر والشد على يد من أراد به الضر والشر.

لقد كان لموقف أكبر من الدين الإسلامي الصدى الطيب في نفوس المؤرخين الأوربيين وغيرهم ولطالما سرهم مثل هذا السلوك ممن يدعون الإسلام وينسبون اليه ولاسيما إذا كان ممن هو في مكانة (اكبر) ورفعته .

فهذا مؤرخ الغرب غوستاف لوبون يقول: "ولم تبلغ دولة المغول في الهند ذروة الرقي إلا في عهد ملكها الثالث أكبر الذي ارتقى العرش سنة ١٥٥٦م ، فدام سلطان ملكه خمسين سنة فهذا الملك الذي هو من أكابر رجال التاريخ ساوى بين المسلمين والهندوس ماضيا تينك الأمتين على التزاوج جاعلا من نفسه قدوة ، وهذا الملك وان لم يوفق لصهر تينك الديانتين في ملة واحدة ودين واحد .." ودامت دولة المغول على الازدهار في عهد حلفائه (جهانكير) و(شاهجيهان) و(اورنك زيب)[١٥] ، بيد ان ما صدر عن اورنك زيب هذا من عدم التسامح وما اشتهر عنه من الحروب اعد دولة المغول للانهيار فلم تلبث الهند عند وفاته سنة ١٧٠٧م ان وقعت في هذه الفوضى[١٦] .

الفصل الثاني

المبحث الاول

الشيخ احمد السرهندي

إن ما اصاب الاسلام من غلابة وبُعد أهله عنه واشتداد الأزمة فيه من قبل الملك أكبر، جعله يحتاج إلى وقفة الرجل الذي كان لابد من وجوده حتى يعيد للاسلام هيبته وسطوته على الأجساد والأرواح ويرفع لواء الجهاد[١٧] ، ويصدع بكلمة الحق ويكبح جماح غواية المفسرين ويقضي على بدعهم وشرورهم قضاء مبرما .

فنهض الأمام المجاهد العالم البحر الزاهد احمد بن عبد الواحد السرهندي الملقب بمجدد الألف الثاني للهجرة بجدارة واستحقاق وشمر عن ساعده لمقاومة الفتنة الأكبرية ورد مكائد اعداء الاسلام وهذب نفوس أهل الغواية وجاهد بذلك حتى وفقه الله في مساعيه واعاد للأسلام مجده وعزته في تلك الديار بعد ان ازدادت غربة الإسلام فارتفعت كلمة الحق والعدل واصبح المسلمون في مأمن على دينهم من اعدائهم وامنوا على دينهم.

أ. اسمه ونسبه ولقبه :

هو الشيخ احمد بن عبد الأحد[١٨] بن زين العابدين الفاروقي النقشبندي السرهندي[١٩] المنسوب الى سرهند أو سهر هندر ومعناها غابة الأسد بين دلهى ولاهور، ومولده ووفاته فيها[٢٠] وكان يلقب بمجدد الألف الثاني للهجرة .

الذي تصدى للنحلة الأكبرية فأودع لنا التاريخ عن تلك المحنة ما يجعل القارئ يحب الوقوف عندها مرار فتذكر عزيمة الشيخ احمد السرهندي وهو يقف في وجه الطاغية والطغيان .

ب. ولادته ووفاته :

يقول صاحب نزهة الخواطر مترجما له : الإمام العارف بحر الحقائق والاسرار، محيي السنة النبوية برهان العارفين والمحققين ، وحجة الأولياء والمتقين آية من آيات الله العظام ونادرة من نوادر الأيام ، أخذ بيد العلم لما زلت به القدم .

وكاد يهوى مهاوى العدم ، فكان مجدد الألف الثاني برهانا ساطعا على شرفية النوع الإنساني وهو احمد بن عبد الاحد السرهندي ، ولد في بلدة سرهند ، في شوال ٩٧١هـ/١٥٦٣م وتوفى فيها سنة ١٠٣٤ آخر صفر ولا زال قبره مشهورا فيها يزار[٢١] .

ج. دراساته :

بدأ الشيخ احمد السرهندي فاتحة دراساته بحفظ كتاب الله تعالى وقرأ على أبيه أولا واستفاد منه جما من العلوم ، ثم ارتحل الى سيالكوت وتتلمذ على يد الشيخ المحقق كمال الدين الكشميري ، بعض المقولات بغاية من التحقيق ، واخذ الحديث من الشيخ يعقوب

المحدث الكشميري ايضا ، وكان قد صاحب اكابر المحدثين بالحرمين الشريفين مكة والمدينة المنورة وأسند الحديث عنهم. وتناقل الحديث المسلسل بالرحمة بواسطة واحدة عن الشيخ عبد الرحمن بن فهد من أكابر المحدثين في زمانه في الهند .

وتعاطى عنه إجازة في كتب التفسير والصحاح الست وسائر مقروآته وروى الحديث المسلسل بالأولوية عن القاضي بهلول البرخشالي عن ابن فهد ، ولعل ابن فهد هو حلقة الوصل في الاجازة بينهما أي بين الشيخ السرهندي وبهلول البرخشالي – وهو ابن فهد من محدثي الهند البارزين – وفرغ من التحصيل وهو في عمر سبع عشرة سنة واشتغل بالتدريس(٢٢). وأيضا كان من كبار مشايخ التصوف وسميت طريقته بالفاروقية والمجددية.

د. آثاره :

كان لمكانة الشيخ العلمية وتصدره للتدريس بعد الفراغ من التحصيل وهو في السابعة عشرة من عمره أثر كبير في علو مكانته ورفعتها .

وكان لمقاومة صاحب الدين الإلهي الجديد المبتدع ولخليفته جهانكير ، أبلغ الأثر في نفوس أتباعه وتلامذته ومن كان يُكِنُّ له الحب والاحترام .

فقد أقبل الشيخ على التأليف وجرد قلمه ولسانه للرد على علماء السوء وكشف زيفهم وبطلانهم "فقد رأى بثاقب بصره وفكره وواسع علمه ان كل ما تتابع من النوائب على المسلمين في عصره ، وجميع ما أصيبوا به من ذلة في الدين وهو ان في الشعائر الكريمة ، أنما تقع تبعته في الغالب على علماء السوء الذين تهافتوا على حطام الدنيا واشتروا بآيات الله وسنه رسوله (ﷺ) ثمنا قليلا. فشوهوا سمعة الدين وكانوا مثل سوء لأمتهم وبني جلدتهم ، حتى اصبح الناس يسيئون الظن بالدين نفسه ، فوقف الشيخ منهم موقفا كريما ، وجاهد جهادا مشكورا للكشف عن عورات علماء السوء والرد على دعمهم وزيفهم وأباطيلهم التي احدثوها في الدين ونسبوها الى الدين كذبا وزورا وكذلك شاهد اولئك الذين ينسبون الى الزهد والعفة التي ما برحت حتى أصبحت إباحية في الدين واهله ويدعون أنهم من الصوفية الذين رآهم الشيخ رحمه الله أكثر الناس تأثراً بفلسفة البراهمة وجعلوا يقولون بأنواع من العقائد الباطلة والمزاعم الفلسفية الضالة المضلة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد

وغيرها[٢٣]. مما لا يمت الى الإسلام بصلة. وكذلك رأى وهو الذي قد نشأ وترعرع بينهم ودرج في عشهم أن بعض هؤلاء الصوفية قلما يعنون بالشريعة ويتبعون أوامرها ، وأنما جل اعتمادهم على أقاويل مشايخهم وما تسلسل اليهم من المشايخ الأقدمين من الاخبار والأقاصيص التي ليست من الدين في شيء.

فانبرى الشيخ المعروف بالعزيمة التي لا تعرف ضعفا للرد على هؤلاء بتفنيد اباطيلهم ودحض شبهاتهم ومزاعمهم ، ومن أهم ما رده عليهم وبالغ فيه عقيدة وحدة الوجود فقد بلغ الأمر أقصاه في إبطال هذه العقيدة التي تزعزع إيمان المؤمن وتهدم بقايا الفطرة السليمة.

ورد أقوال ابن عربي ردا حكيما في رسائله اللطيفة مشحونة بالدليل القاطع والدقة في الرد[٢٤].

له من (المكتوبات الربانية) ثلاثة مجلدات، والرسالة التهليلية، ورسالة اثبات النبوءة ورسالة المبدأ والمعاد ، ورسالة المكاشف الغيبية، ورسالة آداب المريدين ورسالة المعاون اللدنية، ورسالة الشيعة ودحض عقائدهم وبدعهم وهذه رسالة بالغة الأهمية لما فيها من دقة في الرد على الشيعة ، وتعليقات العوارف ، وإثبات الواجب وشرح الرباعيات لشيخه خواجة (أي معلم) عبد الباقي وهناك الكثير من الرسائل اللطيفة الحسنة الطريقة مما ألف بالعربية والفارسية[٢٥].

المبحث الثاني

طريقة الشيخ والدعوة (وكيف رد على الملك جلال الدين أكبر)

إن الأسلوب الذي اعتمده الشيخ احمد السرهندي في الرد على النحلة الأكبرية ، يرجع الى أن الشيخ نشأ في الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة حينما شرع الملك "أكبر" في نشر أضاليله الخبيثة وآرائه المضلة الضالة الباطلة والدعاية ، فانتبه للأمر من أول وهلة ، وجعل يراقب الأحوال عن كثب، وأخذ يعد عدته لمقاومة هذه العقيدة التي تجمع كثيرا من عقائد الأديان وتمعن في طمس حقائق الإسلام عنادا .

فرأى أنه لا يقدر على إيقاع انقلاب عسكري أو يؤسس دولة اسلامية، لأن الحكومة المغولية كانت قوية شابة لم يصبها شيء من الوهن والهرم ، فأختار طريقا آخر وهو التأثير في بلاط الملك ، ورجال الحكومة فاتصل بهم اتصالا روحياً. بقي الشيخ احمد يراسلهم ويكتب اليهم رسائله اللطيفة الرقيقة ويملي عليهم آراءه ورغباته[٢٦]. وما يريد ان يكونوا عليه من اتصال دائم مع الله خالق الكون والأنعام والنعم الكثيرة..، وينبههم من نوم الغفلة ، ويلفت أنظارهم الى ما اتت به الفتنة الأكبرية من مصيبة وبلاء للدين الحق وما جرته من وبال على المسلمين .

وما زال بالأمر يجود ويجتهد في محاربة هذه البدعة ونشر الدعوة في كل مكان في الهند الى ان نجحت مساعيه واثمرت شجرة جهاده وآتت أكلها ، فاستبشر المسلمون استبشارا عظيما وعاد للإسلام مجده ورواؤه في بلاد الهند ، إلا ان نتائج هذه الدعوة السرهندية المباركة لم تظهر الا بعد وفاة (أكبر) صاحب النحلة الأكبرية حينما كانت الفتنة في ريعان شبابها وعنفوانها في زمن ابنه الملك (جهانكير ١٠١٤م-١٠٣٧م) والمسلمون والدعاة الى الله يضطهدون ، شأنهم في عصر الملك (أكبر) حتى ان الملك (جهانكير) أمر بحبس الشيخ السرهندي في سجن (كواليار) مدينة في الهند[٢٧] .

المبحث الثالث

الشيخ أحمد السرهندي سجيناً

إن ما قام به الشيخ احمد من بيان لأباطيلَ وزيفٍ في عقيدة الملك ونحلته وعلماء السوء الذين زينوا للناس الباطل والشرك آثار حفيظة الملك جهانكير ابن الملك أكبر فقرر أبداعه السجن.

كان لموقف الشيخ السرهندي الثابت هذا والمنهج القويم الذي سار عليه مثار حنقٍ وغضب من الملك وأعوان السوء على الشيخ رحمه الله ، فإنه كان الرجل الوحيد الذي انتهض لقمع تلك الفتن ونصرة الشرع المحمدي وجاهد جهادا وحيدا لإحياء الدين في وجه قوة الحكومة المغولية حين كان عدد من علماء الحق وصلحاء الصوفية موجودا في أرجاء الهند حتى ذلك العهد[٢٨].

فقد قام هذا الرجل الأعزل وخالف علنا تلك المنكرات التي كانت فاحشة في حمى الحكومة ودافع عن الشرع الذي كان مبغوضا عندها ، فهبت الحكومة تحاول قهره وإعناته بكل ما تملك من الوسائل...[٢٩]، الى أن امر الملك جهانكير بحبس الشيخ في سجن كواليار نتيجة عدم سجوده له السجدة التي كانت قد ابتدعت على ايام الملك أكبر ، ولكن الله أراد غير ما كان فقلب سجن الشيخ نعمة ومنة عظيمة ، "فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب"[٣٠] ، فضرب بينهم هذا الطوق ولكن الطوق أصبح طوق إيمان حتى يثبت الشيخ نور الايمان فكان بحق نعمة ومنة عظيمة من الحي القيوم .

"وصار الجناة من السارقين وقطاع الطريق يصلون ويسجدون وأصبحوا ياتمرون باوامر الشيخ ويؤدون واجباتهم الاسلامية اداء لم يشاهد مثله من أمثالهم من قبل فتنبه لذلك مدير السجن وكتب الى الملك يخبره ان المحبوس ، الشيخ السرهندي ليس من شأنه ان يسجن وإنما هو ملك قلما تنجب الدنيا مثله ، فان رأى الملك اطلقنا سراحه وأكرمناه بما يستحقه"[٣١]، وندم الملك جهانكير على ما بدا منه من عوامل الشدة والغلظة في حق الشيخ السرهندي وأمر باحضاره الى مقر المملكة ، ولما بلغه خبر دنوه من العاصمة بعث الأمير (خرم) ولي عهد المملكة الذي أعتلى سرير الملك بعد وفاة أبيه وتلقب بـ(شاه جهان) لا

ستقباله والترحيب بمقدمه ، فأقام الشيخ أياما في بلاط الملك ، وكان من نتائج مساعيه ومواعظه البليغة أن رضى الملك بالغاء كثير من البدع والمنكرات التي كان قد ابتدعها أبوه الملك (أكبر) فاصدر الملك مرسوما بالأمور الآتية :

١. تحريم عادة السجود للملك
٢. الإذن بذبح البقر التي كان الطاغية أكبر قد حرم ذبحها توددا للهندوس
٣. تعيين القضاة ورجال الحسبة في كل بلدة
٤. اعادة بناء ما انهدم من المساجد
٥. إبطال القوانين المعارضة للشريعة وأحكامها

فكانت نهضة الدين من جديد وأعيد لواء الاسلام يرفرف على سارية المجد في أرض الإسلام والمسلمين الهند بقوة الشيخ احمد السرهندي وعزيمته، واستبشر المسلمون استبشارا عظيما وزال عنهم ما اصابهم من الهم والغم لأجل الاضطهاد في أمور الدين والتضييق عليهم في اداء واجبات الشرع[٣٢] ، فجاء بعد ذلك ملوك حكموا بكتاب الله وسنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وكانوا خدما للعلم والعلماء بل خدما لشريعة الله تعالى وأزالوا كل مظاهر البعد عن الله وعن الاسلام فكان من بعدهم الملك (محمد اورنك زيب عالكمير) وهو عالم كبير من سلالة جلال الدين أكبر خادما للعلم فدون الفتاوى[٣٣] الهندية لتكون دستورا للبلاد[٣٤] .

هكذا كان الشيخ احمد السرهندي حاكما قبل ان يحكم عليه بالسجن فإنه حكم بالإيمان على الأجساد وألارواح ولكن الملك جهانكير زاد غضباً عليه فأودع جسده السجن لكنه لم يقدر على إبداع الروح المؤمنة سجنا فكانت حكمة الله ان كان خلاصا للإسلام والمسلمين جميعا وعودة الدين الى ارض الهند أرض الإسلام .

إذا الظلام عنا تبلج فجره　　　ظلم الحوادث مطلع الأرواح[٣٥]

خاتمة البحث

هذه سيرة الشيخ السرهندي حرى بنا أن نعلم ولو النزر اليسير عنها لتكون لنا نبراساً يضيء لنا درب الظلام في عصرنا المظلم بالجهل وبالبعد عن الواقع الذي أراده الله ورسوله (ﷺ) أمة تعبد ربها على نور من الله وتهدي النور للبشرية جمعاء .

أن قلة ما كتب عنه -رحمه الله- بالعربية كان دافعاً أولياً للكتابة ، وكانت المعرفة اليسيرة عن الشيخ دافعاً ثانياً للبحث والتقصي ، وان الجهود التي بذلها في الارتقاء بالمجد الاسلامي كان له أكبر الأثر فيه وفي إعادة الاسلام الى الهند في عصره بلاداً ليس فيها شائبة أو بدعة فأحببت أن أقول إن سنة الله كذلك في الدنيا ان الظلام مهما زاد وشاع في ارجاء الدنيا فلابد من بزوغ الفجر وانبلاج الصبح المشرق . وصلى الله وسلم على نبينا وصحبه الكرام .

المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم ، الصديق بن حسن القنوجي دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٢. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.
٣. تاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر دار العهد الجديدة ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.
٤. تجديد الدين واحياؤه واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، أبو الأعلى المودورى الرسالة بيروت ١٩٧٥م.
٥. حضارات الهند. غوستاف لوبون. ترجمة: عادل زعيتر، ط١، مطبعة عيسى الجلبي، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.
٦. العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، أنور الجندي دار الكتاب اللبناني ١٩٧٩م.
٧. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة وكالة المعارف اسطنبول ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م.

٨. مذكرات سائح في الشرق العربي ، أبو الحس النمرودي الرسالة بيروت ، ط١ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٩. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة المكتبة العربية دمشق مطبعة الترقي هـ١٣٦٧- ١٩٥٧م.

١٠. نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند والباكستان مسعود الندوي المطبعة السلفية ١٣٧٢هـ.

١١. هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، اسماعيل باشا البغدادي استانبول ١٩٥١م.

هوامش البحث

(١) ينظر: تاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم العز دار العهد الجديدة ١٣٧٨هـ: ٢١٢-٢١٥.

(٢) ينظر: ثقافة الهند ، عدد حزيران ١٩٥٥م .

(٣) تجديد الدين واحياؤه واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، أبو الاعلى المودورى ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٣٩٥هـ : ٨٠-٨٥ وما بعدها .

(٤) أخرجه الحاكم، الإمام محمد ابو عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٣٣٩هـ) ط١،دار احياء التراث العربي ، بيروت-لبنان ، من طريق عن أنس ﴿ﷺ﴾: ٣/٣١٤-٣١٦

(٥) النساء الآية ٤٤ .

(٦) انظر العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني والمصري ١٩٧٩م: ٢٩٤ وما بعدها

(٧) نظرة اجمالية في تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند والباكستان ، مسعود الفردلي ، لجنة الشباب المسلم ، المطبعة السلفية القاهرة: ١٣٧٢هـ ، ٢٠ .

(٨) تجديد الدين واحياؤه : ٨٠ .

(٩) المصدر نفسه: ٨١ .

(١٠) أخرجه البخاري : (٥٥٩٠) معلقا الناشر: دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٠ هـ –١٩٨٩م ، بيروت– لبنان (٥٥٩٠) ووصله أبو داود : (٤٠٣٩) .

(١١) المصدر نفسه ٨٢ .

(١٢) المصدر نفسه ، ٨٢–٨٤ وما بعدها .

(١٣) المصدر السابق ومما يلاحظ في هذا المقام ان الملك اسمه "جلال الدين" ولقبه أكبر فلم تكن التيمة فيما بين الناس إلا ترديدا لأسمه ولقبه وفيه اعتراف واضح بكونه الها والعياذ بالله .

(١٤) المصدر نفسه: ٨٢ وما بعدها .

(١٥) الوسن دافع ممن يدعى العلمية والحيادية في كتابه التاريخ من اعداء الاسلام فاورنك زيب هذا هو الذي ابطل المكوس الجائرة على المسلمين ووضع الجزية ونكس شعائر الكفر ورفع لواء الاسلام وامر بتدوين الفتاوى الهندية التي كانت وما تزال دستورا للمسلمين في الهند وغيرها وما ذلك إلا غرس غرسه الشيخ السرهندي وأولاده من بعده .
أنظر بالتفصيل عنه في مقال بقية الخلفاء الراشدين للشيخ علي الطنطاوي في كتاب رجال من التاريخ، منشورات المكتبة الأموية ، دمشق : ١٨٧ ومابعدها.

(١٦) أنظر حضارات الهند ، غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي ، ط١ ، ١٣٦٧هـ: ٤٢٤ – ٤٢٥ وما بعدها .

(١٧) دفع ذلك حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) الذي رواه ابو داود، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، والترمذي : – ٣/٣١٥ ،(٤٤٤٥) ط١ ، الناشر ، دار احياء التراث العربي ، بدون تاريخ : ٢/٢١٠، ٢٣١٠.

(١٨) وقيل عبد الواحد وابن عبد الواحد .

(١٩) نسبة الى الغنى الذي ورد غابة الاسد في سمرقند .

(٢٠) ينظر: ابجد العلوم للصديق بن احمد القنوجي دار الكتب العلمية، لبنان ، ٣/٢٢٥ ، كشف الظنون لحاجي خليفة طبعه وكالة المعارف اسطنبول ، ١٧٢٤ ، هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ، طبعة وكالة المعارف اسطنبول ، ١/١٤٦ .

(٢١) ينظر: نزهة الخواطر ، للامام ابن الجوزي ، (ت ٦٦٧هـ) ، ط٣ ، بيروت – لبنان ، مؤسسة المعرفة (١٤١٥هـ): ٥/٤١.

(٢٢) أبجد العلوم ، ٣/٢٢٥-٢٢٦ وما بعدها.

(٢٣) تنسب هذه الظاهرة الى ظاهرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد لأبن عربي الدمشقي الصوفي وهي أخطر ما ظهر من أقوال ابن عربي على زمانه وهي نحلة خاصة به. ولد ومات في الشام .

(٢٤) ينظر: نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الاسلامية ، سعود الفهدي ، ٢٧-٢٨ .

(٢٥) ابجد العلوم،٣/٢٢٦-٢٢٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ٢٥٩/١ ، المكتبة العربية دمشق والاعلام لخيرالدين الزركلي دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٤٣/١ .

(٢٦) مذكرات سائح في الشرق العربي: ١٠٩ .

(٢٧) تاريخ الإسلام في الهند: ٢٤ .

(٢٨) تجديد الدين واحياؤه: ٨٧ .

(٢٩) المصدر نفسه : ٨٧.

(٣٠) المصدر نفسه : ٨٧.

(٣١) المصدر نفسه ، ٨٨ وما بعدها .

(٣٢) نظرة أجمالية في تاريخ الدعوة الاسلامية : ٢٥-٢٧.

(٣٣) وهو كتاب في الفقه الحنفي طبع مراراً وهو من اجل كتب الحنفية ومصادرها في الفقه .

(٣٤) نظرة اجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية. وتجديد الدين وأحياؤه: ٨٧ وما بعدها، وتاريخ الاسلام في الهند: ٢٢٦ وما يليها.

(٣٥) محمد اقبال ، ديوان ارمغان حجاز ، الناشر ، دار النجوم ، باكستان.